



Pakistan Journal of Qur'ānic Studies

ISSN Print: 2958-9177, ISSN Online: 2958-9185

Vol. 4, Issue 1, January – June 2025, Page No. 21 - 37

HEC: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1089226#journal_result

Journal homepage: <https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs>

Issue: <https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/issue/view/243>

Link: <https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/3961>

Publisher: Department of Qur'ānic Studies, The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan



Title The Sun in the Qur'ān from the Radiance of Creation to the Manifestation of Truth

Author (s): Dr. Yasmeen Akhtar

Assistant Professor, Department of Arabic, International Islamic University Islamabad (IIUI), Pakistan.

yasmeen.akhtar@iiu.edu.pk

Dr. Qasim Azzam Bhutta

Assistant Professor, Department of Arabic, National University of Modern Languages, Islamabad. qabhutta@numl.edu.pk

Received on: 10 June, 2025

Accepted on: 15 June, 2025

Published on: 30 June, 2025

Citation: Dr. Yasmeen Akhtar, and Dr. Qasim Azzam Bhutta. 2025. " الشمس في القرآن من نور الخلق إلى برهان الحق: The Sun in the Qur'ān from the Radiance of Creation to the Manifestation of Truth". Pakistan Journal of Qur'ānic Studies 4 (1):21-37. <https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/3961>.

Publisher: The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan.



All Rights Reserved © 2025 This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الشمس في القرآن من نور الخلق إلى برهان الحق

The Sun in the Qur'ān from the Radiance of Creation to the Manifestation of Truth

Dr. Yasmeen Akhtar

Assistant Professor, Department of Arabic, International Islamic University

Islamabad (IIUI), Pakistan. yasmeen.akhtar@iiu.edu.pk

Dr. Qasim Azzam Bhutta

Assistant Professor, Department of Arabic, National University of Modern

Languages, Islamabad. qabhutta@numl.edu.pk

Abstract:

Between the dawn that flows from the horizon of creation and the setting that descends into the depths of reflection, the sun in the Holy Qur'an emerges not as a mere celestial body, but as a speaking sign, a submissive creature, and a wise witness to the greatness and oneness of the Creator. Throughout the Qur'anic discourse, the sun appears as a rational argument in the dialogue of monotheism, a timekeeper for worship, a symbol in prophetic visions, a feature in miraculous narratives, a false deity among the misguided, and finally a devout being in cosmic submission to God. Through this thematic and rhetorical journey, it becomes clear that the sun in the Qur'an is not merely a source of visible light, but a mirror reflecting the light of truth, a tongue articulating divine unity, and a bridge between the physical and symbolic, nature and revelation, reason and heart. The Qur'an portrayed it masterfully. The hoopoe bird denounced its worship. Abraham refuted its divinity. Joseph interpreted it as a celestial symbol. And God, its Creator, subjected it to His command. Thus, the sun transformed from being idolized to being a servant, from a deity to a proof, from a radiance to a revelation until it became, in the eyes of the believer, a language of devotion that bows at every sunset and illuminates the path of tawhīd (monotheism) for hearts granted divine insight.

Keywords: Sun, Qur'an, monotheism, Qur'anic rhetoric, argumentation, Sufi symbolism, cosmic prostration, vision, worship, metaphor.

مقدمة:

﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾¹ كلمة قالها إبراهيم عليه السلام، فكانت مفتاحاً لنقض الأوهام، وبوابة لفجر التوحيد، وبصيرة تُفرّق بين النور الطالع والضوء الزائل. في تلك اللحظة، لم تكن الشمس مجرد جرم بازغ، بل كانت سؤالاً كونياً، وجواباً إلهياً، وآية من آيات الله، تقود من التأمل في الخلق إلى الانقياد للخالق. ما بين شروق بيعث الحياة، وغروب يُغشي الأرض بالسكون، تخطّ الشمس على صفحة الوجود سطوراً من التوحيد، وجكماً من التدبير الرباني، وآياتٍ ناطقةً بنظامٍ لا يَحْتَلِّ، وسبحٍ لا يفتر. ليست الشمس في الخطاب القرآني جرماً فلكياً فحسب، بل كائنٌ بلاغي، وروحٌ رمزية، وآيةٌ عقلية وروحية تتقاطع عندها منازل الفلك، ومقامات الدلالة، ومشارك التأمل.

لقد تناولها القرآن الكريم في سياقاتٍ شتى:

فراها ساجدةً في مشهدٍ كونيٍّ خاشع، ومُسَخَّرَةً في نظام الزمن والتقويم والعبادة، وشاهدةً في مناظرة التوحيد الإبراهيمي، ومُتَّهَمَةً في نقد الوثنية الشمسية، ورمزاً في رؤى الأنبياء ومعارجهم الروحية، ومكوّناً في لوحة المعجزات القرآنية الطبيعية. فما بين "وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا" و"تَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ"، تنبثق شمس القرآن لا لتؤله، بل لتُسَبِّح، لا لتُعبد، بل لتدلّ.

ومن هذا الأفق، تنبثق هذه الدراسة لثعالج حضور "الشمس" في القرآن الكريم من ستة محاور متكاملة: نستهلّها ببيان الشمس كآية كونية شاهدة على التقدير الإلهي، ثم نرتحل إلى دورها في نظام العبادة والتقويم الزمني، فنُصْغِي إلى أنفاسها الرمزية في رؤى الأنبياء، ونَتأمل وظيفتها في مشاهد المعجزة والإعجاز الطبيعي، ثم نقف عند صورتها كمعبودٍ مزيّف في نقد الوثنية الشمسية، لنختم بـ سجودها الخاشع في المشهد الكوني العام، حيث يتساوى الخلق في العبودية والانقياد. وهكذا، تمتزج الحقيقة بالمجاز، ويغدو النور لغةً، والشمس شاهدةً وهاديةً، لا تغيب إلا لتشهد أن وراءها خالقاً لا يأفل.

المحور الأول: الشمس كآية كونية دالة على التقدير الإلهي:

في هذا المحور تُبحر في الأفق القرآني حيث تشرق "الشمس" لا كجرم سماوي فحسب، بل كأداة حجاجية عاقلة وناطقة في مقام البرهنة، وكأثما شاهدة على عجز المخلوق وجهل الوثن، أمام بديع السماوات والأرض. يبرز هذا المعنى في موضعين عظيمين:

في حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾²

¹ - سورة الأنعام، الآية: 76.

² - سورة البقرة، الآية: 258.

وفي خطابه إلى قومه حين رأى الشمس بازغة فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾³ تتجلى في هذين الموضوعين بلاغة قرآنية وفنية مبهرة، حيث تتحول "الشمس" من جرم إلى دليل، ومن ظاهرة إلى حجة، ومن ضياء إلى مرآة تعكس صدق التوحيد وزيف التأليه. ويقف إبراهيم عليه السلام - بصفاته العقلي والفطري - على منصة الحجاج العقلي، ليكشف بعين البصيرة لا البصر ضلالة ما يُعبد من دون الله.⁴ إن الشمس تستعمل كأداة في البرهنة العقلية على عجز المخلوق وضعف الأوثان مقابل عظمة الخالق؛ وهي مركزية في خطاب إبراهيم عليه السلام مع النمرود ومع قومه

حيث أورد الطبري أقوال الصحابة في معنى الحجاج العقلي، ودلالة الشمس في حوار إبراهيم مع النمرود، وأثر ذلك في قطع حجة الخصم. وتناول القرطبي المفارقة بين قدرة الله وعجز المخلوق، من خلال مقارنة بزوغ الشمس وتحكم الله في مشرقها.⁵ وعرض الرازي تحليلاً عقلياً عميقاً لمقام الحجاج في الآيتين، مع استحضار دور الإدراك البصري في الهداية.⁶ وركز ابن كثير على قصة النمرود، وكيفية تسليم العقل بالضرورة لربوبية من يملك الشمس.⁷ وأورد السيوطي أحاديث نبوية وأقوال صحابة حول دور إبراهيم في كشف بطلان عبادة الشمس.⁸ كما ذكر الحديث عن حوار النمرود، وذكر كيف انقطع عن الرد، إذ لا يملك تحويل الشمس عن مسارها.⁹ هكذا كانت الشمس في النص القرآني أبلى من ألف منطق، وأعمق من كل جدل. لم تكن فقط شعاعاً، بل برهاناً، ولم تكن حركة فلكية، بل حجة ربانية. لقد انتقلت - في الخطاب الإبراهيمي - من كونها معبودة إلى أن تكون شاهدة على بطلان كل معبود سواها، ليغدو البزوغ والأفول، لا فعلاً طبيعياً، بل دليلاً على اضطراب الوثنية واستقرار التوحيد.¹⁰

أولاً: الشمس والقمر حساباً:

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾¹¹ ذكر في تفسير الطبري: "القول الأولي أن الشمس والقمر يجريان بحساب وعددٍ مقدّر، ويدوران لمصالح الخلق التي خلّقا لها."¹² وقد وردت هذه الرواية عن ابن عباس بمئات

³ - سورة الأنعام، الآية: 78.

⁴ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ط. دار المعارف - مصر، ج 2، ص 598 وما بعدها.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط. دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2، ج 7، ص 67.

⁶ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي، ط. دار الفكر - بيروت، ج 3، ص 117-118.

⁷ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط. دار طيبة - الرياض، ط 2، 1999م، ج 1، ص 701.

⁸ - الدر المنثور في التفسير بالماثور، ط. دار الفكر - بيروت، ج 1، ص 414.

⁹ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير الناصر باب: "قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾" ط. دار طوق النجاة، 1422هـ، حديث رقم 3322.

¹⁰ - جامع البيان للطبري، تحقيق أحمد شاكر، دار هجر، ط 1، ج 11، ص 253.

¹¹ - سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

الروايات المعتمدة في الدر المنثور للسيوطي: "... عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾¹³ يعني عدد الأيام والشهور والسنين"¹⁴ وبين ابن جرير في الطبري أن المقصد هو انتظام حركة الشمس بالقضاء والقدر، "ليبلغ أمرها ونهاية آجالها".¹⁵

ثانيًا: الشمس ضياء والقمر نورًا:

﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾¹⁶ وهذا الوصف ليس تصريحًا قرآنياً فحسب، بل إعلان عن عمد دقيق في النظام الكوني، يوضح كيف ورّع الله تعالى أعضائه ضمن حكمة، مضيئاً وجهاً جمالياً وآية للتدبر. التفريق بين "ضياء" و"نور" ليس ترادفاً، بل هو ما يسميه البلاغيون التفنن في التعبير والتصوير البياني الوظيفي. الآية قدّمت الضياء أولاً لأنه فاعل في الخلق الحسي، أما النور فتابع، وهو ما يعكس ترتيب العلل والمعلولات في النظام الكوني.

في اللغة الصوفية، "الضياء" يرمز إلى نور الذات (الوجود الإلهي)، و"النور" إلى نور الصفات أو الأسماء (الانعكاس على الأكوان). جاء في الدر المنثور أن "اغتنام المقابلين (الليل والنهار) دليل على تدبير الحكمة الإلهية".¹⁷

ثالثًا: الشمس والقمر يجريان لأجل مسمى:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ لِّيَجْرِيَ لِأَجْلِ مَسْمًى﴾¹⁸ وأشار الطبري إلى أن كلمة "مسمًى" تفيد الدقة المطلقة في الحساب والتقدير، والعلم الإلهي لا يغيب عنه مثقال ذرة.¹⁹

رابعًا: كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ:

تصوّر لقوافل الشمس والقمر والنجوم في مدارات منتظمة، تعكس الوضع الكوني في العبادة والتسبيح، لا لفعل الصدفة بل للإبداع والتنظيم الرباني. "أي كلٌّ من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار يجري في فلكه، كجري السفينة في الماء، لا يصطدم أحدها بالآخر، وكلٌّ يجري بتقدير العزيز العليم".²⁰

¹² - جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق: ثالث الربيعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 2002م، ج 9، ص 468، آية 96.

¹³ - سورة البقرة، الآية: 258.

¹⁴ - الدر المنثور في التفسير بالماثور لجلال الدين السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1428هـ، ص 140.

¹⁵ - جامع البيان لابن جرير الطبري تحقيق: أحمد شاكر، ج 1، ص 230.

¹⁶ - سورة يونس، الآية: ٥.

¹⁷ - الدر المنثور للسيوطي، ج 5، ص 287.

¹⁸ - سورة الرعد، الآية: ٢.

¹⁹ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري تحقيق أحمد شاكر، ج 1415، ص 60-62.

²⁰ - المصدر نفسه، ج 23، ص 58-59.

خامساً: الشمس والقمر والنجوم مسخرات:

"سخر" - مصدرٌ لغوي قوي يشير إلى التبعية والخضوع الإرادي، لا الاستقلالية ولا الصدفة.²¹

سادساً: الشمس كدليل والزمن كمرجع:

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾²²

إشارة إلى تنظيم الأوقات والشعائر و دلالة أن الشمس هي مرجع ثابت للزمان، وليست جرمًا مجهولًا أي "صلّى الله قبل طلوع الشمس، يعني صلاة الصبح، وقبل غروبها، أي صلاة العصر، وهذا وقتان عظيمان، يلحظهما كل ناظر، فجعل الله الشمس مرجعًا ظاهرًا لحساب الزمان، لا يخطئه أحد." ²³ ﴿جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾²⁴ "الدليل" هنا مجاز للتوجيه والإرشاد الزمني.

من القرطبي: "حدد لنا الشمس الزمان"، أي إنها ميزان للوقت الشرعي. ومن الرازي: "كاشف للظلمات، وظاهرة للمعرفة البصرية"، ومن ابن عثيمين: "تأكيد أن الشمس دليل إلهي، لا عبادة لها"²⁵ وكذلك تدل كلمة الشمس على المعاني المتعددة:

1. حساب ودقة: الشمس والقمر لا يجريان بلعبة الصدفة، بل وفق نظم وضوابط منضبطة، يشهد على علم الله وحكمته.
2. مرجعية زمنية وشرعية: تصبح الشمس رمزًا للضبط اليومي، لضبط مواقيت الصلاة والأشهر والأعياد.
3. دلالة بصرية ومعنوية: الضوء والمجرات تدل على قدرة البصيرة القلبية، فتكون الشهادة الحسية لبراهين التوحيد.
4. بلاغة التصوير: من "ضوء" و"حساب"، إلى "سبحان" و"دليل"، تنامي المفردات لتكوّن موسيقى بلاغية تعلّم العقل وتعزف على أوتار القلب.

²¹ - التفسير الكبير للرازي، ج19، ص170.

²² - سورة طه، الآية: 130.

²³ - جامع البيان للطبري، ج16، ص217.

²⁴ - سورة الفرقان، الآية: 45.

²⁵ - ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ط3، 2002م، الجزء 9، صفحة 468-وانظر: تفسير الأنعام 96؛ الجزء 19، صفحة 364، تفسير الفرقان، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط2، 1967م، الجزء 17، صفحة 202 (الآيات المتكررة حول الكون. ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي، ط3، الجزء 19، صفحة 364.

إن الشمس في القرآن لا تُرى هنا كجسم سماوي فحسب، بل هي آية كونية مركزية تجمع بين: تركية العقل العلمي (النظام، الحساب، الفلك) وتدريب الحس الروحي (منها تُستنبط مواعيد الصلاة وشعائر الزمان). وإيقاظ الشكر والرهبة في النفس (دليل على وحدة الخالق وتنظيمه البديع).

المحور الثاني: الشمس كجزء من نظام العبادة والتقويم:

يتناول هذا المحور الشمس بين العبادة والحساب أي البعد التعبدي والزمني في الخطاب القرآني – دراسة تحليلية تأصيلية في ضوء آيتي الإسراء ويونس، وسورة الرحمن²⁶

في مشرق الشمس ومغربها، نبض حياة، ورجع دعاء، ووتيرة عبادة... فهي ليست مجرد جرم سماوي يُسطع في الأفق، بل مؤذن كوني يُعلن مواقيت الصلاة، ومنظومة حسابية تحدد دورات الزمن... منذ أن خلق الله الشمس، ووجهها بالسير على حسابان، صارت جزءاً من نسق ديني دقيق، يُقوم به المسلمون عباداتهم، ويُحسب به العمر، وتُضبط به السنة، وتُحفظ به الفروض.

في هذا المحور العلمي، نستجلي كيف تُستثمر الشمس في القرآن كعنصر تعبدي وتقويمي، من خلال آيتين مركبتين:

- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾²⁶
 - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾²⁷
- ثم تُسقط هذه الرؤية على سورة الرحمن حيث وردت الشمس في سياق الانضباط الفلكي والميزان، مما يُبرز تكامل البعد الكوني مع البعد العبادي في التصور الإسلامي.

إن الإمام الطبري يُفسر "دلوك الشمس" بأنه زوالها عن كبد السماء، مشيراً إلى أنه أول وقت الظهر، وبه تبدأ الدورة اليومية للصلاة، مما يُبرز موقع الشمس كمفتاح زمني في منظومة العبادات.²⁸

وابن كثير يوضح أن الله جعل الشمس ضياءً "بالذات" والقمر نوراً "بالانعكاس"، وقدر منازل القمر لتقويم الأشهر، وأشار إلى أن تعاقب الشمس والقمر له دور مزدوج: في العبادة والتقويم الزمني.²⁹

ويرى القرطبي أن دلوك الشمس لحظة تحوّل كوني يتناغم فيه الظل والضوء، ومنه تبدأ الصلوات المفروضة تبعاً، فالشمس هنا ليست فقط آلة توقيت، بل "آية تعبّدية" متجددة يومياً.³⁰

²⁶ - سورة الإسراء، الآية: 78.

²⁷ - سورة يونس، الآية: 5.

²⁸ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري المؤلف: الإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، المجلد: 15، الصفحة: 19.

²⁹ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة: الثانية، 1999م، المجلد: 5، الصفحة: 73.

والسيوطي يجمع الروايات التي تؤكد أن منازل القمر والحساب الشمسي مقصودان لضبط العبادات، ويفصل كيف أن العرب كانوا يستخدمون الشمس في معرفة مواقيت الصيام والصلاة، ومنازل الحج.³¹

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وقت الظهر إذا زالت الشمس..."³² فالحديث يُقنن الارتباط بين زوال الشمس وبدء أوقات الصلاة، وهو تطبيق حيي لمعنى "دلك الشمس" الوارد في الإسراء.³³

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يصلي الظهر إذا دحضت الشمس"³⁴ أي إذا زالت، وهو دقيق التوافق مع آية الإسراء، حيث ترتبط العبادة بالشمس مباشرة.

الإشعاع القرآني من سورة الرحمن:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾³⁵

هي الآية الجامعة، التي تجعل من النظام الفلكي مقياساً للعبادة والسنوات، و"الحسبان" لفظ يدل على الدقة والانتظام، وهو أساس لكل ما يرتبط بالزمن الشرعي: الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج.³⁶ وكأن في انتظام الشمس، وتحديدتها للعبادة والتقويم، نعمة عقلية وروحية يستحيل جحدها.

لم تكن الشمس في القرآن زينة للسماء فقط، بل كانت مؤدناً للصلاة، وحاسبة للأعمار، وسراجاً للزمان. وحين تُذكر في سياق العبادات والتقويم، ندرك أن الدين الحق هو الذي يُقنن العلاقة بين الإنسان والكون، بين الحركة الكونية والخضوع الإيماني، في إيقاع عجيب يجمع النور، والوقت، والعبادة، والتسبيح.

الخور الثالث: الشمس كرمز في الرؤى (الحلم):

جاء في القرآن الكريم: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾³⁷ ترمز الشمس هنا إلى شخصية ذات مكانة عالية (الأب على الأرجح)، وتدخل في المنظومة الرمزية لرؤى الأنبياء. "قال المفسرون: الشمس أمه راحيل، والقمر أبوه يعقوب، والكواكب إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً."³⁸

³⁰ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد: 10، الصفحة: 204-205.

³¹ - الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي، الطبعة الثانية، المجلد: 5، الصفحة: 275.

³² - صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، الحديث رقم: 612.

³³ - صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة للإمام محمد بن إساعيل البخاري، محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، الحديث رقم: 547.

³⁴ - صحيح البخاري في "الأدب المفرد"، رقم الحديث: 546 وينظر: السنن الكبرى للبيهقي، ج 1، ص 377.

³⁵ - سورة الرحمن، الآية: 5.

³⁶ - جامع البيان للطبري، ج 24، ص 81.

³⁷ - سورة يوسف، الآية: 4.

³⁸ - جامع البيان للطبري، ج 16، ص 49.

"الشمس في الرؤيا النبوية: قراءة تأويلية بلاغية في ضوء حلم يوسف عليه السلام، بين الرمز والإلهام والوحي" حين تطلع الشمس في الحلم، لا تكون شمسًا فقط... بل تكون أمًا، أو عرشًا، أو مقامًا، أو دولة، أو قدرًا محتومًا.

وفي الحلم النبوي، تتحوّل رموز الكون إلى إشارات ربانية، وتصبح السماء كتابًا يُقرأ بالرؤيا، وتكون الشمس فيه ليست مجرد نور، بل "لغة" تختزل المعاني الكبرى.³⁹ وفي مشهد حلم يوسف عليه السلام الخالد، يُطلّ علينا هذا الرمز: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾⁴⁰ رؤية تختصر نبوءة المستقبل، وتُسطّر تحلية الوحي والأسرة والملوك والابتلاء.

يقول الطبري: "الشمس رمزٌ للأُم، والقمر رمزٌ للأب، والكواكب لإخوته، وسجودهم إشارة إلى خضوعهم وإجلالهم له في المستقبل." ويفسّر هذه الرؤيا بأنها نبوءة منامية صدقها الواقع لاحقًا حين خرّ الجميع سُجَّدًا له، مما يجعل الحلم النبوي مقدّمة للوحي العملي.⁴¹ ويذكر ابن كثير أن هذه الرؤيا كانت علامة على شرف يوسف ومقامه العالي، ويؤكد أن الشمس دالة على الأم – استنادًا لروايات عن ابن عباس – بينما القمر دالّ على الأب، وهي رؤية تُقرّ في علم التعبير عند الأنبياء.⁴² ويسوق الإمام جلال الدين السيوطي أقوالًا عديدة في تفسير الشمس، منها: "الشمس أم يوسف، والقمر أبوه، والكواكب إخوته..." ويُشير إلى اعتماد الصحابة والتابعين لهذا التأويل، مما يُثبت قوة الرمز الكوني في دلالات الرؤيا النبوية.⁴³

الإمام مُحمّد بن عمر الرازي يتوسّع بلاغيًا في تحليل رمزية الشمس، فيقول: "هي أعظم الأجرام، فجاء بها لتمثيل أعظم الأشخاص – وهي الأم – لما فيها من الإحاطة والرحمة".⁴⁴ كما يشير إلى أن سجود الشمس في الحلم لا يُقاس على واقعها، بل يُفهم ضمن لغة الرؤيا النبوية الخاصة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح".⁴⁵ وهذا الحديث يُثبت أن الرؤيا في حياة النبيين جزء من الوحي، ورؤيا يوسف عليه السلام لا تخرج عن هذا الإطار.

³⁹ - الفتوحات لابن عربي، ج 3، ص 211.

⁴⁰ - سورة يوسف، الآية: 4.

⁴¹ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام مُحمّد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الأولى، المجلد: 13، الصفحة: 3-5.

⁴² - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: ساي بن مُحمّد السلامة، المجلد: 4، الصفحة: 303-304.

⁴³ - الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي، المجلد: 6، الصفحة: 450.

⁴⁴ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي، المجلد: 18، الصفحة: 143-145.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الرؤيا ثلاث: منها رؤيا من الشيطان، ومنها ما يهم به الرجل، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة." وفي هذا التحديد تأصيل شرعي بأن الرؤيا الصالحة للأنبياء وحيٍّ رمزيٍّ، والشمس فيها تحتل موقعًا قياديًا بوصفها رمزًا عليًا في البنية التعبيرية للحلم.⁴⁶

في سورة الرحمن، تُذكر الشمس في آية جامعة: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾⁴⁷ وإذا ربطنا هذا بالحلم، فإنَّ الشمس - كما أنها خاضعة في الواقع لنظام كوني - فهي أيضًا في الحلم خاضعة لنظام تعبيرى رمزي يدلّ على الخضوع والإذعان لمشيئة الله.

وهكذا، فإن الرؤيا في القرآن لا تُفسر فقط بالمنطق، بل تُفكّ بلغة المجاز النبوي، حيث يكون لكل جرم رسالة، ولكل رمز سجدته. ليست الرؤى عند الأنبياء خيالًا، بل خطأً سماويًا رمزيًا، تحركه الشمس، ويترجمه القمر، ويكتمل بمواكب الكواكب.

وحين يقول يوسف: رأيت الشمس ساجدة، فهو لا يُحدّث فقط عن حلم، بل يؤسس لمرحلة من مراحل النبوة، يُبسّر بها وهو غلام، ويُحقّقها وهو على عرش الملك. إنَّ الشمس في الحلم النبوي ليست شيئًا يُرى، بل وعدًا يتحقّق.

المحور الرابع: الشمس كجزء من المشهد الطبيعي والمعجزات

قال الله تعالى: ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ...﴾⁴⁸ ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾⁴⁹ ﴿تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾⁵⁰ الشمس هنا تؤدي وظيفة تصويرية ضمن مشاهد إعجازية أو رحلات (ذو القرنين)، وتُظهر عناية الله بالعباد. "الشمس في مشهدية سورة الكهف: بلاغة الضوء والظل، وجغرافيا المعجزة بين الزمان والمكان" ما الشمس في سورة الكهف إلا ريشة فنّانٍ إلهي، ترسم بمسارها لوحاتٍ من الهداية، وتفصيلٍ من الإعجاز الجغرافي، والتوجيه الرباني. فهي تزاوَرُ عن كهفٍ فيه فتية آمنوا بربهم، وتغرب في عينٍ حمئة عند مغرب الشمس، وتطلّع على قومٍ لم يكن لهم ستْرٌ من نورها اللاهب.⁵¹

⁴⁵ - صحيح البخاري - كتاب التعبير (باب أول ما بُدئ به الوحي الرؤيا الصادقة) للإمام مُجَدِّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مُجَدِّد زهير الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، الحديث رقم: 6982.

⁴⁶ - صحيح مسلم - كتاب الرؤيا للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي، الحديث رقم: 2263.

⁴⁷ - سورة الرحمن، الآية: 5

⁴⁸ - سورة الكهف، الآية: 17.

⁴⁹ - سورة الكهف، الآية: 86.

⁵⁰ - سورة الكهف، الآية: 90.

⁵¹ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: ساي بن مُجَدِّد سلامة، الناشر: دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1998م، ص 157، 147-158.

إنّ هذه المواقع الثلاثة ترسم جغرافيا قرآنية للمعنى، حيث تتحول الشمس إلى شاهدٍ كونيٍّ على الإيمان والابتلاء والسلطان.

الآية الأولى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾⁵²

فسّر الطبري تزاور الشمس بأنها تميل عنهم لا تُصيبهم في مطلعها ولا في مغربها، وهو إشارة إلى حفظ إلهي محكم، ومعجزة مكانية دقيقة. ويعلّق بقوله: "جعل الله لهم في كهفهم ما يكون لهم حجاباً عن الشمس صيفاً وشتاءً، حفظاً لأجسادهم الطاهرة من التحلل."⁵³ وجمع الإمام جلال الدين السيوطي الروايات عن ابن عباس وقتادة، مفادها أن الشمس كانت تميل عنهم معجزةً لحفظهم دون أن يُصابوا بحرها، في مشهد طبيعي تحوّل إلى مشهد إعجازي فلكي.⁵⁴

الآية الثانية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾⁵⁵

يوضح ابن كثير أن المراد بـ "عين حمئة" هو المشهد البصري الذي بدا لذي القرنين عند وصوله أقصى الغرب؛ أي: رآها كأنها تغرب في ماء أسود طيني. ويذكر حديثاً موقوفاً عن ابن عباس: "رآها تغرب في عين ذات حمأة، وهذا بحسب ما تراه له."⁵⁶ ويقدم ابن عاشور قراءة بلاغية حديثة، مفادها أن الآية تُبرز وصفاً جغرافياً شعرياً لما يراه الإنسان عند الأفق البحري، حيث تنعكس الشمس على الماء فيبدو وكأنها تنغمس فيه.⁵⁷

الآية الثالثة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾⁵⁸

يشير القرطبي إلى أن القوم المذكورين يعيشون في منطقة لا جبل فيها ولا شجر، فلا حجاب لهم من الشمس، مما يدل على مفارقة حضارية ومشهد طبيعي نادر، يصف فيها القرآن مناخاً حاراً ذا إشراق دائم.⁵⁹ ويرى الرازي أن الآية تتضمن تصويراً درامياً لمكان في أقصى الشرق، حيث يبدو أن الشمس "تحكم عليهم"، ولا حاجز يحول دون شعاعها، فهي رمز السلطة الطبيعية التي لا يُعصى لها أمر.⁶⁰

⁵² - سورة الكهف: ، الآية: 17.

⁵³ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، المجلد: 15، الصفحة: 209-211.

⁵⁴ - الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي، المجلد: 6، الصفحة: 397-398.

⁵⁵ - سورة الكهف: ، الآية: 86.

⁵⁶ - تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، 1999م، المجلد: 5، الصفحة: 194-195.

⁵⁷ - التحرير والتنوير لابن عاشور، دار سخنون، تونس، الطبعة: الأولى، المجلد: 15، الصفحة: 300.

⁵⁸ - سورة الكهف: ، الآية: 90.

⁵⁹ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، المجلد: 11، الصفحة: 47-49.

⁶⁰ - التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، المجلد: 21، الصفحة: 143-144.

تُجسد سورة الكهف بتنوع مشاهدتها الشمس في ثلاثة أدوار:

1. الشمس الحافظة - تزاور عن أهل الكهف بإذن الله.
2. الشمس الغاربة - تغرب كأنها تنغمس في عين سوداء.
3. الشمس القاسية - تطلع على قوم لا يملكون سترًا منها.

وهذا التنوع ليس توصيفًا علميًا فقط، بل جمال بلاغي يعكس مقامات الشمس بين الرأفة والرهبة، بين الحفظ والعقاب، بين التجلي والخفاء.

معجزات الشمس في هذه المشاهد:

- المعجزة المكانية: انحراف الشمس في كهف الفتية يدل على تدخل إلهي في قوانين الطبيعة لصالح المؤمنين.
- المعجزة البصرية: تصوير مغرب الشمس في عين حمئة يخاطب إدراك الإنسان، ويُقدّم تجربة حسية للإعجاز.
- المعجزة الحضارية: وصف أقوام لا يملكون سترًا من الشمس يُلحح إلى حالات نادرة في أطراف الأرض لم تصلها الحضارة.⁶¹ حين تميل الشمس وتغيب وتشرق، فإنها لا تخرج في القرآن عن كونها خادمةً للهداية، وممثلةً للقدرة، ورسولاً من نور إلى من شاء الله أن يهديه. فليست الشمس في سورة الكهف "نجمة في الفضاء"، بل كائنة بلاغية، تنتقل بين الكهف والعين والشرق، شاهدةً على الإيمان، وجزءًا من القصيدة الكونية التي يكتبها الله بلغة الخلق.

المحور الخامس: الشمس كمعبود مزيف:

هذا المحور يقوم بدراسة وهم السجود للشمس في نقد الوثنية الشمسية من خلال سورة النمل. قال الله تعالى: ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁶² في هذه الآية، الشمس ليست مجرد جرم كوني، بل رمز للوثنية القديمة التي تسجد للمخلوق وتنسى الخالق. ورد ذكرها على لسان المهدد ليكشف ليس فقط واقع قوم بلقيس، بل حالة الانقلاب المفهومي في العبادة: من توحيد الخالق إلى تعظيم المخلوق، ومن تسبيح الله إلى عبادة الظواهر الطبيعية. والشمس هنا تمثل رمزًا للوثنية، ويأتي ذكرها في سياق كشف الضلال العقدي لقوم بلقيس.⁶³

⁶¹ - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص203. و البلاغة القرآنية في التصوير الفني لفريد الأنصاري، دار السلام، ط2، ص1432، ص205-206.

⁶² - سورة النمل، الآية: 24.

⁶³ - مفاتيح الغيب للرازي ج24، ص217-218. وينظر: جامع البيان، الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، 2001م، ج19، ص271-272.

في فضاء الروح الساذجة، قد تتحول النعمة إلى معبود، والنور إلى ربٍّ مزعوم. فما أشد دهشة الهدهد حين اكتشف قوّمًا يسجدون للشمس من دون الله، في مشهدٍ يهز وجدان التوحيد ويظهر قُبْح الغفلة عن الخالق جلّ في علاه.⁶⁴

إن السجود للشمس – تلك الكوكبة المسخرة – كان من أعظم صور الوثنية الطبيعية، فجاء القرآن يفنّدها بمنطق التوحيد، وبلاغة الكشف، وحبّة النبوة.⁶⁵

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾⁶⁶ فسر الطبري قول الهدهد: "يسجدون للشمس" بأنه استنكارٌ توحيدِي نبويٍّ على لسان طائر، يجري في روحه وعي الرسالة.

ويشرح أن قوم سبأ، ومنهم بلقيس، كانوا على دين المجوسية، يعبدون الكواكب والأنوار، والسجود للشمس كان أبرز ملامح هذا الانحراف العقائدي.⁶⁷ وقال ابن كثير: "أنكر الهدهد عليهم هذا، وقال ذلك على وجه الإنكار والتقبيح"، مبيّنًا أن العقل السليم يأنف من عبادة مخلوق يرى قلبه وغيابه. ويشير إلى أن الشيطان هو من زين لهم هذا، وجعلهم في عمى عن نور الوحي.⁶⁸ وقدم ابن عاشور تأويلًا حضاريًا، فقال إن السجود للشمس كان رمزًا لسلطة الطبيعة في الوجدان الوثني، وهو تمثيل لمنظومة كاملة من العبادة الوثنية التي تُؤلّه الظاهر دون الباطن.

وقد جاءت الآية بلغة الطائر لتُظهر أن حتى الطير يفطن لما لا يراه الجاحدون من بني الإنسان!⁶⁹ ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ تأكيده على أهمية دعوة سليمان لبلقيس للإسلام وترك عبادة الشمس، وهي من أصدق النماذج على أن النبوة لا تُجامل ملوك الأرض في عقائدهم، بل تصدع بالحق ولو إلى ملكة سبأ.⁷⁰

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يا أبا ذرّ، أتدري أين تذهب هذه الشمس؟..." ثم قال: "...فتسجد تحت العرش ثم تستأذن..."⁷¹

⁶⁴ - ينظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص96-97.

⁶⁵ - ينظر: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، ط5، 2001م، ص204-205.

⁶⁶ - سورة النمل، الآية: 23-24.

⁶⁷ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، المجلد: 19، الصفحة: 273-275.

⁶⁸ - تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، المجلد: 6، الصفحة: 185-186.

⁶⁹ - التحرير والتنوير لابن عاشور، دار سمعون، تونس، الطبعة: الأولى، المجلد: 19، الصفحة: 243-244.

⁷⁰ - صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب: تفسير سورة النمل، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الثالثة، 2002م، الجزء: 6، الصفحة: 86 رقم الحديث: 4802.

⁷¹ - صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب: النهي عن عبادة الشمس والقمر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء: 4، الصفحة: 2196، رقم الحديث: 1598.

في هذا الحديث العظيم، يُعاد تأطير الشمس لا كمعبودة، بل كمأمورة خاضعة لله تسجد بأمره، وهي المفارقة الكبرى بين تصور التوحيد وتصور الوثنية. إنّ سورة النمل ترسم مشهداً فكرياً حيّاً، تقف فيها الشمس - رغم نورها - مُتَّهَمَةً بأنها أَهَنَّتْ ظِلْمًا، بينما يقف الطير الصغير على منبر النقد، يقولها بملء منقاره: ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁷³ فيا للعقل! كيف يسجد لما لا يسمع، ولا يرى، ولا يقدر على نفع أو ضرر؟ وهكذا يهدم القرآن بآية واحدة - على لسان هدهد - صرح الوثنية الشمسية بأكمله.⁷⁴ ليست الشمس في سورة النمل مصدرًا للدفع فحسب، بل صارت محكًا للتمييز بين التوحيد والتزييف. لقد أزال القرآن عنها تاج الألوهية، وذكر أنها مخلوقة مسخرة، وأن السجود لا يليق إلا بمن سخرها الله ﷻ.

الخور السادس: الشمس ضمن مشهد السجود الكوني:

سجود الشمس: لوحة التوحيد الكبرى في كونٍ خاشع، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ... يَسْجُدُ لَهُ﴾⁷⁵ الشمس هنا تشارك في السجود الكوني لله، مما يعكس طابعًا تعبدياً وجمالياً في بنية الكون. في عالمٍ متخيم بالحركة، تتناغم الكائنات مع سنن الوجود في خشوع صامت، وسجود لا تراه العيون، ولكن تستشعره الأرواح النقية.

هل تأملت يوماً أن الشمس التي نُعمرنا بنورها، تسجد لربها؟
إنها لا تتأله كما عبدها الوثنيون، بل تخضع كما ينبغي للمخلوق، وتشارك الكون كله في لحظة خضوعٍ كونية خفية، عظيمة، مشهودة لمن فتح الله له البصيرة.⁷⁶
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾⁷⁷ قال الطبري: "سجود الشمس والقمر ونحوهما: خضوعها لله بانقيادها لما سُخِّرَتْ له من الطلوع والغروب، دون أن تخرج عن مسارها أو تعصي أمر ربها." وبين أن هذا السجود حقيقي في طبيعته، وإن لم يُدرَك بحواس الإنسان، بل يُدرَك بالعقل والبصيرة والإيمان.⁷⁸

⁷² - شرح صحيح مسلم للنووي، تحقيق: خليل الميس، دار المعرفة، بيروت، ط1، ج17، ص108-109. وينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، ج8، ص564.

⁷³ - سورة البقرة، الآية: 258.

⁷⁴ - الكشف للزمخشري، ج3، ص294. وينظر: البلاغة القرآنية في التصوير الفني لفريد الأضاري، ص211.

⁷⁵ - سورة الحج، الآية: 18.

⁷⁶ - مفاتيح الغيب للرازي، ج23، ص53.

⁷⁷ - سورة الحج، الآية: 18.

⁷⁸ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، المجلد: 17، الصفحة: 588-590.

قال ابن كثير: "أي الجميع عبيد له خاضعون قهراً أو طوعاً، وهو سجود تسخير وانقياد..."⁷⁹ وأورد الآية على أنها من أقوى دلائل الربوبية، إذ تجعل السجود قيمة كونية شاملة، لا تُحصَر بالإنسان فقط.

قال ابن عاشور في نظرة فلسفية: "هذا السجود من الموجودات الكونية تصويرٌ بلاغي لانسجامها مع نظام الخلق الرباني، وهو معنى أعمق من مجرد العبادة، إنه انضباطٌ جمالي في مملكة العدل الإلهي." وهو يلمح إلى أن الآية تُقدِّم نظرية قرآنية في التوحيد عبر الصورة الكونية.⁸⁰

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يا أبا ذر، أتدري أين تذهب الشمس إذا غربت؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش..."⁸¹

يشرح الحديث أن سجود الشمس حقيقة غيبية مجسدة، لا مرئية، لكنها تُحدِّثنا عن مدى خضوع الجبروت الكوني لله.. حتى الشمس، هذه السيدة على مملكة الضوء، تسجد حين تأوي إلى المغيب!⁸²

في الحديث الشريف تفسيرٌ لسجود الشمس وطلبها الإذن من ربها في كل يوم، وهو تعبير عن دوام أمر الله على كل ذرة في الكون، ويضع المؤمن أمام حقيقة مذهلة: أن السجود ليس حكراً على البشر، بل حركة الوجود كله.⁸³

إن مشهد السجود الكوني في الآية هو أعظم سيمفونية توحيدية، حيث تكون الشمس والقمر والجال والأشجار والنجوم ركعاً سجداً في حضرة الجلال. ليست مجرد كواكب جامدة، بل كائنات واعية بطريقتها، منقادة لمولائها، شاهدة عليه، خاشعة لجلاله.

فما أعجب أن تسجد الشمس، ويأبي السجود إنسانٌ جحود!

في هذا المشهد الإلهي، يُمحي الغرور البشري، وتتكشف الحقيقة العظمى: أن كل ما في الكون، ظاهراً أو خفياً، يسجد لله طوعاً أو قهراً. فالذي خلق الشمس من نار، جعلها منحنية، خاشعة، في موكب السجود، بينما يبقى الإنسان بين التكليف والتخيير، مدعواً ليقترف أثر الشمس، لا ليعبدها، بل ليشركها السجود لمن سخرها.

⁷⁹ - تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي السلامة، المجلد: 5، الصفحة: 422-423

⁸⁰ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، دار معن، تونس، الطبعة: الأولى، المجلد: 17، الصفحة: 90-91

⁸¹ - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق، الباب: ما جاء في سجود الشمس، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، الجزء: 4، الصفحة: 285، رقم الحديث: 3199

⁸² - سورة الحج، الآية: 18.

⁸³ - صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب في إثبات السجود الكوني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء: 1، الصفحة: 293، رقم الحديث: 159.

وهكذا، كانت الشمس في القرآن الكريم أكثر من نور يُرى، وأعمق من جرم يُقاس؛ كانت لساناً كونياً ينطق بالوحدانية، ومراًةً للقدرة، ودليلاً للعبادة، ورمزاً للهداية. من مشرقها إلى مغربها، ومن بزوغها إلى أفولها، تسافر بنا الشمس لا في الفضاء فحسب، بل في معارج المعنى، ومسالك التوحيد، ودروب العرفان. في كل مشهد قرآني مرّت به، كانت الشمس إما مخلوقاً ساجداً، أو شاهداً ناطقاً، أو دليلاً زمانياً، أو رمزاً روحياً، حتى إذا بلغت مغربها، سجدت تحت العرش، تعلن أن لا معبود بحقٍ إلا من سخرها، وأنها - على عظمتها - لا تعدو أن تكون آية من آياته، لا تُعبد، بل تُتبع. إنّ من تأمل الشمس في النصوص القرآنية، أدرك أن الكون كتابٌ، وكلُّ صفحةٍ فيه تسجدُ بحروفها. ومن تتبّع إشراقها في الآيات، رأى أن التوحيد لا يُورث بالجدال وحده، بل يُسكب في القلب من نورٍ طالع، وسجودٍ صامت، ويقينٍ لا يأفل. فيها أيها القارئ المتأمل، إذا رأيت الشمس تُشرق، فاذكر من أنارها، وإذا رأيتها تغيب، فاذكر من لا يغيب، وإذا رأيتها تسجد، فاسجد معها، فلعلك تُشرق في سماء القرب، حيث لا غروب بعدها.

1. تكشف دراسة "الشمس" في القرآن الكريم عن عمق بلاغي وتنوع دلالي، إذ وردت في سياقات عقلية وروحية وتعبدية ورمزية، تجاوزت كونها جرمًا سماويًا إلى كونها شاهدًا على التوحيد.
2. استُعملت الشمس في القرآن كأداة حجاجية عقلية، أبرزها في خطاب إبراهيم عليه السلام، حيث تحوّلت من كائن مألوه عند قومه إلى دليل على بطلان الألوهية الزائفة.
3. أكّد القرآن على وظيفة الشمس في التقويم وتنظيم العبادة، فجعلها دليلاً زمنياً لمواقيت الصلاة والأشهر، مما يدل على الترابط بين النظام الكوني والتشريع التعبدية.
4. حملت الشمس بعداً رمزياً في الرؤى النبوية، كما في رؤيا يوسف عليه السلام، حيث عبّرت عن مقامات اجتماعية وروحية ضمن لغة رمزية إشراقية.
5. وظّف القرآن الشمس في تصوير مشاهد إعجازية وطبيعية، كما في قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، حيث جاءت أداة تعبير عن العناية الإلهية وبلاغة المكان.
6. نقد القرآن الكريم الوثنية الشمسية بشكل حاسم، وأظهر كيف أن الكائنات العظيمة، كالشمس، لا تستحق السجود، بل تسجد بدورها لله وحده.
7. أبرز القرآن مشهد السجود الكوني الشامل، وجعل الشمس عنصراً في هذه الأنشودة التعبدية الكونية، مما يعمّق المعنى الصوفي للتسبيح والانقياد الكوني لله.

التوصيات:

1. تشجيع الدراسات الموضوعية والبلاغية في القرآن الكريم لاستكشاف رمزية العناصر الكونية كالضياء والنجوم والليل والنهار، وربطها بالبناء الإيماني والروحي.
2. تعميق الوعي التربوي والروحاني لدى القارئ المسلم، عبر إبراز كيف تُسهم الكائنات الكونية، كالشمس، في تهذيب النفس وتثبيت العقيدة.
3. دمج البُعد العلمي والفلكي في مناهج التفسير، بطريقة تُبرز التقدير الإلهي في الظواهر الطبيعية، دون السقوط في التفسيرات المادية الجافة.
4. توظيف رمزية الشمس في الخطاب الدعوي المعاصر، خصوصًا في نقد الماديات الحديثة التي تُؤَلِّه الظواهر وتُقصي المعنى الغيبي.
5. اقتراح إنتاج مواد تعليمية وفنية (مرئية ومسموعة) مستلهمة من مشاهد الشمس في القرآن، تجمع بين العلم والتأمل والإيمان، لاستخدامها في التربية القرآنية والتأملية.